E - ISSN 2626-093X
https://journalofstrategicandmilitarystudies.de/

المجلد 7/ العدد 28 (سبتمبر 2025)
Vol: 7 / N°: 28 (September 2025)

مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية
Journal of Strategic and Military Studies

Demographic dynamics and their impact on the built framework, the case of the old city of Fez

DEHMANI Fatima Zahra[1], EZZAOUI Mostafa [2]

[1] Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Fez

[1] Mohammed I University, Oujda

Email 1 : arvinis.faty@gmail.com

Email 2 : mosstafageo@gmail.com

1: orcid.org/0009-0005-0634-0537

2: orcid.org/0009-0001-4090-1140

Received	Accepted	Published
10/09/2025	28/09/2025	30/09/2025

DOI: https://doi.org/10.63939/JSMS.2025-Vol7.N28.130-140

DEHMANI Fatima Zahra1, EZZAOUI Mostafa. (2025). Demographic dynamics and their impact on the built Framework ; the case of the old city of Fez . Journal of Strategic and Military Studies,, volume7 (issue28), pp: 130 - 140.

Abstract

The old city of Fez stands as a living heritage that bears witness to the country's civilization and history. It was characterized by a coherent urban design and architecture strongly marked by Islamic aesthetics. However, this historical framework experienced a major decline during the colonial period, due to the construction of a modern city that competed with the old medina, thereby creating a clear spatial duality.

Like other historic cities, Fez is today facing profound and multifaceted imbalances, mainly related to the decline of its vital functions and the loss of equilibrium among its fundamental economic, social, and environmental components. The city also suffers from numerous problems linked to its urban structure, economic fabric, and built environment. The most prominent consequences are the deterioration of its historic core and the destruction of its cultural and civilizational heritage, a process further exacerbated by the combined impact of natural and human factors.

Keywords: Historic city – Cultural heritage – Spatial transformations – Urban fabric

© 2025, DEHMANI& EZZAOUI, licensee Democratic Arab Center. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية
Journal of Strategic and Military Studies
المجلد 7/ العدد 28 (سبتمبر 2025)
Vol: 7 / N°: 28 (September 2025)
E - ISSN 2626-093X
https://journalofstrategicandmilitarystudies.de/

الديناميكية الديموغرافية و انعكاساتها على الإطار المبني: مدينة فاس العتيقة نموذجا

الدحماني فاطمة الزهراء[1]؛ الزاوي مصطفى [2]

[1] جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس

[2] جامعة محمد الأول، وجدة.

الايميل1: arvinis.faty@gmail.com

الايميل2: mosstafageo@gmail.com

حساب 1: orcid.org/0009-0005-0634-0537

حساب 2: orcid.org/0009-0001-4090-1140

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2025/09/10	2025/09/28	2025/09/30

DOI: https://doi.org/10.63939/JSMS.2025-Vol7.N28.130-140

للاقتباس: الدحماني فاطمة الزهراء؛ الزاوي مصطفى. (2025). الدينامية الديموغرافية وانعكاساتها على الإطار المبني: مدينة فاس العتيقة نموذجا، *مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية، رقم المجلد 07* (العدد28)، ص ص: 130 – 140.

ملخص

تعتبر مدينة فاس العتيقة تراثا شاهدا على حضارة البلاد وتاريخها، حيث كانت تتميز بتصميم حضري متجانس وبهندسة معمارية يغلب عليها الطابع الإسلامي، إلا أن هذا الإطار التاريخي سيعرف بعد الاستعمار تدهورا كبير، وذلك بسبب تشيده لمدينة عصرية منافسة للمدينة العتيقة، وبالتالي خلق ازدواجية مجالية واضحة.

غير أن مدينة فاس كغيرها من المدن العتيقة، أصبحت اليوم تعيش اختلالات عميقة ومتعددة، ترتبط أساسا بتراجع وظائفها الحيوية وفقدان التوازن بين مكوناتها الأساسية الاقتصادية، الاجتماعية، والبيئية. كما أضحت تعاني من عدة مشاكل تتعلق بطبيعة هيكلتها العمرانية، نسيجها الاقتصادي وإطارها المبني، والتي كان من نتائجها البارزة تدهور البنية العتيقة وإتلاف لتراثها التاريخي والحضاري، والذي تزداد حدته بفعل تداخل عوامل الطبيعة والإنسان.

الكلمات المفتاحية: المدينة الأصيلة – الموروث الثقافي - التحولات المجالية- النسيج الحضري

©2025، الدحماني & الزاوي، الجهة المرخص لها: المركز الديمقراطي العربي.
نُشرت هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0).
تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

مقدمة عامة

تعتبر مدينة فاس "الأصيلة" من أغنى وأوسع المجالات المعمارية التقليدية في العالم، ويمكن القول بأن هذه المدينة من خلال تاريخها وارثها الحضري والحضاري تجسد والى اليوم النموذج المثالي للمدينة الإسلامية، وبهذا الصدد يقول محمد الناصري: "إذا كانت كل مدينة تستأثر بخصائص معينة تميزها، وبأصالة خاصة تجعلها تتفرد بها مقارنة مع المدن الأخرى، فإن مدينة فاس القديمة تعتبر استثنائية بالنسبة للمدن الإسلامية الأخرى، فبفضل تنظيمها الخالص للمجال، واستغلال البيئة، ومؤسساتها الحضرية، وإرثها الثقافي والمعماري، استطاعت أن تفرض نفسها كمدينة فريدة على امتداد قرون متواصلة، وهذا التفرد استمدته من معطى تاريخي يتجلى في كونها من المدن القليلة التي أفلتت لمدة تزيد عن ألف سنة من عمليات التحطيم والهدم التي عرفتها مدن العالم الإسلامي الأخرى على إثر تغير الحكام والمماليك، أو بعد الاحتلالات الأجنبية. ولذلك فإن هذه المدينة تشكل النسيج الحضري التقليدي الأكثر اكتمالا والأكثر تعبيرا عن التمدن الإسلامي، وهو النسيج الأوحد بهذه الصفات والذي لازال قائما ومسكونا في عالمنا المعاصر".

وهذه المدينة بالإضافة لذلك تعتبر أكبر مجال خاص للراجلين في العالم وأكبر مجمع معماري تراثي محاط بأسوار، والذي يضم في ثناياه مجموعة فريدة من المعالم والمنشآت والبنى والصناعات والحرف والتنظيمات الاجتماعية، التي شكلت خلاصة وجوهر التحضر والمعمار التقليدين السائدين في المغرب، وذلك إلى حدود فرض الحماية على المغرب سنة 1912، ودخول وانتشار نمط حضري جديد مرتبط بالمجتمع الصناعي الحديث. وإثر ذلك سيشهد المغرب بالتتالي نماذج حضرية ستنافس النموذج التقليدي وستهمشه وتهدده. وبعد استقلال المغرب، ستزداد معاناة النسيج الحضري التقليدي، وسيتعرض هذا الإرث التاريخي الفريد لتحولات عميقة على المستويات المعمارية والتنظيمية والاجتماعية، ومن بين أبرز تلك التحولات عملية " الاستخلاف" الديموغرافي التي سيشهدها، حيث ستشرع الأسر التقليدية الغنية والأثيلة – لأسباب مختلفة – في مغادرة المدينة الأصيلة تباعا لتعوض بأسر تنتمي لشرائح اجتماعية واطئة وقادمة من البادية في الغالب. وسيعرف هذا النسيج الحضري بفعل ذلك تغيرات كبيرة على المستوى الاجتماعي والديموغرافي والثقافي والمعماري، وأصبح المسؤولون الوطنيون والمنظمات الدولية المهتمة بالتراث يدركون أنه أصبح من الضروري العمل على صيانة مدينة فاس وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من تراثها.

إشكالية الدراسة:

تمثل مدينة فاس العريقة، بفضل شكلها المعماري الأصيل وإشعاعها الثقافي والديني وتنظيم مجالها المحكم، أحسن نموذج للمدينة المتوسطية العربية والإسلامية، إلا أن المكانة المتألقة التي تمثلها مدينة فاس أصبحت مهددة بالتراجع نظرا لتدهور إطارها المعماري وانهيار العديد من مآثرها التاريخية، بفعل تراكم عدة عوامل ديموغرافية واقتصادية واجتماعية.

أهمية الدراسة:

إن الدينامية الديموغرافية والتحولات الاجتماعية والاقتصادية التي لحقت بمدينة فاس العتيقة نتيجة تضافر عدة عوامل التي ساهمت في تلك التحولات كانت لها انعكاسات سلبية وخيمة على عدة مستويات لم يسلم منها الإطار المبني.

منهجية الدراسة:

اعتمدنا في تحرير هذا المقال الذي هو قيد بحثنا على مراجع وبحوث تهم الموضوع وإحصائيات ومؤشرات رسمية من تقارير النشاط السنوي الصادرة عن المديرية الجهوية للصناعة التقليدية بفاس وكذلك التقارير الوطنية الصادرة عن المرصد الوطني والمندوبية السامية للتخطيط.، إضافة إلى القيام بتدريب وإنجاز بحث ميداني في غرفة الصناعة التقليدية بفاس.

المحور الأول: العوامل المفسرة لتدهور الإطار المبني بالنسيج العتيق لمدينة فاس

تعد المباني المهددة بالانهيار شكلا من أشكال النمو العمراني غير المنظم في العديد من المدن المغربية الذي يشكل باستمرار خطرا يهدد السكان وينتشر هذا السكن بالدرجة الأولى في النسيج العتيق في مختلف المدن المغربية وتفتقر في غالبيتها للبنية التحتية (الطرق، شبكة التطهير، الكهرباء المياه...). وتتعدد أشكال هذا النوع من السكن وتختلف مظاهره تبعا للأسباب والعوامل حيث تبقى العوامل البشرية أكثر منها طبيعية تأثيرا على الإطار المبني.

1- العامل الديموغرافي

أهم ظاهرة ميزت التطور الديموغرافي والبنية السكانية لفاس العتيقة خلال النصف الثاني من القرن العشرين، هي ارتفاع معدل النمو الديموغرافي ونسبة الكثافة والتساكن وتغيير التركيبة الاجتماعية. وباستقرائنا للمعطيات الإحصائية التي يتضمنها الجدول رقم 1 يمكننا أن نبدي ملاحظتين أساسيتين:

جدول رقم 1: تطور ساكنة مدينة فاس من 1920-2010

السنوات	1926	1960	1971	1982	1994	2000	2010
المدينة العتيقة	65000	171045	1650000	169726	150441	141628	128072
المدينة الجديدة		61249	141819	328010	618593	849460	14441217
فاس الكبرى		232294	338319	497756	769034	991088	1569290
نسبة المدينة ع/فاس		73.6	58.1	34.1	19.6	14.3	8.2
% النمو السنوي للمدينة ع		2.9	1.3	1.3-	1.0-	1.0-	1.0-

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 60-71-82-94، مديرية التخطيط والتوقعات الاقتصادية

لا زالت المدينة تعرف نموا ديموغرافيا كبيرا ناتج بالأساس عن النمو الطبيعي، الهجرة القروية واتساع مدارها الحضري ليشمل مراكز قروية بالهوامش الغربية والجنوبية للمدينة كزواغة، بنسودة، أولاد الطيب، إلخ...

بلغت ساكنة فاس سنة 1994، 769034 نسمة وذلك بمعدل نمو سنوي ب 2.9% ما بين 1982-1994. أما حاليا فتقدر ساكنتها حسب عدد ساكنة فاس مندوبية التخطيط والتوقعات الاقتصادية بفاس بحوالي 1 مليون نسمة، فوثيرة النمو الديموغرافي لا تساير النمو الاقتصادي، سوق الشغل (يصل معدل البطالة إلى 17.5 % من مجموع السكان النشيطين) وإنتاج السكن حيث يقدر الخصاص بمدينة فاس لوحدها 100000 وحدة سكنية.

تتسم مدينة فاس العتيقة بدينامية ديموغرافية عالية كانت جد نشيطة من بداية القرن العشرين إلى أواخر الثمانينات، حيث عرفت بعض التراجع الناتج عن تدهور ظروف الإسكان بها، وقلة العرض في الوحدات السكنية داخل المدينة والتطور السريع للسكن اللاقانوني في الأحياء المجاورة للمدينة العتيقة.

الجدول رقم 1: بتطورساكنة فاس المدينة يعطي نظرة واضحة عن تنامي الضغط السكاني

سنة الإحصاء العام	عدد السكان	نسبة سكان المدينة العتيقة/ فاس الكبرى
1960	155.000	%75
1971	180.000	60%
1980	170.000	40%
1994	182.000	23.4%
2000	191.000	20.40%

* تقديرات مديرية التوقعات الاقتصادية والتخطيط

إن هذا التراجع النسبي لعدد السكان داخل فاس المدينة، لا يعني انخفاض للضغط السكني، اذ لازال معدل الكثافة السكنية يفوق 600 نسمة في الهكتار الواحد ويصل أحيانا إلى 2000 نسمة في الهكتار في بعض الأحياء الأهلة بالسكان المهددة بالانهيار (حي بين المدن).

وتتوزع هذه الساكنة على حوالي 13.380 بناية، على مساحة إجمالية لا تتعدى 300 هكتار، الشيء الذي يبرهن على تمركز الوحدات السكنية وارتفاع معدل الأسر القاطنة بالوحدات السكنية الذي يفوق أربع أسر ويصل أحيانا إلى أكثر من عشرين أسرة بالمنزل الواحد. هذا وتفسر الكثافة السكانية داخل المدينة بتراكم عدة عوامل، لعل أهمها كثافة الهجرة القروية وحدة أزمة السوق العقارية وضعف القوة الشرائية للسكان ودخلها الفردي(الخرشافي،2001، ص3) .

2- هشاشة الوضعية الاقتصادية

تسجل الأنسجة العتيقة أعلى معدلات البطالة في الوسط الحضري المغربي بالرغم من ارتفاع معدل النشاط ليفوق المتوسط الوطني. ويمثل المستخدمون والصناع حوالي 40% من النشيطين المشتغلين، ما يعكس أن مداخلهم هزيلة.

وعلى صعيد مدينة فاس، تفيد معطيات الإحصاء لسنة 2004 أن الساكنة النشيطة بالنسيج العتيق لفاس تبلغ 45414، والساكنة غير النشيطة 71953، ويصل معدل النشاط 78.4% ، ويمثل الصناع والعاملون في المهن التقليدية حوالي 44% .

تؤكد نتائج البحث مع الأسر القاطنة في السكن المهدد بالانهيار هذا الوضع الاقتصادي الهش، فمتوسط الدخل الشهري لدى معظم الأسر هو 1000 درهم، ويصل في بعض الحالات النادرة 5000 درهم، وتوجه نسبة مهمة ممن صرحوا بعدم توفرهم على دخل مادي، فمعظم الأنشطة التي يزاولها قاطني السكن المهدد بالانهيار تتوزع بين التقليدية وغير القانونية وغير القارة. وتمثل فئة المياومين أكبر نسبة 25% ، والعاملين بقطاع الصناعة التقليدية 11% نظرا للطابع التقليدي للأنشطة بالنسيج العتيق، وتمارس هذه الأنشطة التقليدية أيضا نسبة مهمة من ربات البيوت اللواتي يتقاضون مقابلها أجور هزيلة، وما يثير الانتباه هو النسبة المهمة ممن ليس لهم عمل ويمثلون 12% .

إن اللجوء للسكن في السكن الهش للمدن العتيقة هو انعكاس للهشاشة الاجتماعية والاقتصادية للأسر التي تتصارع من أجل توفير قوتها اليومي وبالتالي فهي عاجزة عن الانخراط في برامج الترميم والصيانة (شتو،2014، ص143-144). وهذه الوضعية تبرز بشكل جلي عن دراسة مجموعة من المؤشرات الدالة كنسبة الإعالة...إذ يصل متوسط نسبة الإعالة إلى حوالي 4 أفراد لكل مشغل، أي تقريبا لكل أسرة دخل واحد من شخص واحد، لأن متوسط النشيطين المشتغلين في كل أسرة هو 1.4 وهذا يعني أن دخل الأسر في المتوسط ضعيف، مما لا يسمح بتحمل نفقات الصيانة والإصلاح، وينتمي أغلب النشيطين المشتغلين إلى فئات سوسيو-مهنية ذات الدخل الضعيف، كالقطاع غير المهيكل والعمال والموظفين الصغار... الشيء الذي ينعكس سلبا على حالة السكن الأصيل (الطلحي،2002،ص163).

3- تنامي الهجرة القروية

عرفت مدينة فاس عبر الحقب التاريخية توافد مهاجرين من مختلف حواضر العالم العربي والإسلامي، وقد شكل هؤلاء ساكنة متميزة لم تحمل معها ثرواتها فقط، بل حملت أيضا معارفها، وفنونها وتقاليدها. وعاشت عبر أجيال متعاقبة حياة يومية ذات قيمة عالية انعكست على معالمها بأبوابها المعمارية، والمنازل التقليدية، والأحياء والأزقة المغلقة، والأسواق المتخصصة والمشاغل المختلفة، والحدائق والمرافق وفنون الطبخ... إلخ.

بدأ تغير بنية الساكنة مع بداية القرن العشرين، إلا أن المدينة عاشت تحولا جذريا مع الاستقلال وبعده إثر هجرة مزدوجة:

- هجرة مجموعة من سكانها نحو المدن الساحلية، وخصوصا البيضاء العاصمة الاقتصادية، وانتقال آخرين إلى فضاء المدينة الجديدة "دار دبيبغ".
- هجرة قروية قوية نحو المدينة الأصيلة التي أصبحت أغلب دورها التراثية الجميلة سكنا لوافدين ريفيين.

لقد أدى نزوحهم إلى رفع الضغط السكاني نتيجة استيطان مجموعة من الأسر بالمنزل الواحد، إذ أصبحت الدور التقليدية تأوي أسرا متعددة، واستغلت كل غرفة كمسكن يستخدم لكل الوظائف المنزلية، للاستقبال والنوم والطبخ، مخالفة بذلك ما ساد سابقا من تخصص بأجزاء المنزل.

لقد سجلت هذه الوضعية بداية التدهور السريع لمجال النواة الأصلية، مع ضعف إمكانيات الصيانة، ومن ثم انتشرت معالم التقادم والتداعي لتنذر بالتهدم أو الإنقاذ ورد الاعتبار (السرغيني،2014، ص207).

المحور الثاني: انعكاسات الدينامية الديموغرافية على استغلال المجال

يشكل السكن المهدد بالانهيار بالنسيج العتيق لفاس أهم وأعقد تجليات السكن غير القانوني بالمدينة، نظرا لحجم الظاهرة من جهة، حيث تتركز فيه معظم البنايات الآيلة للسقوط، ومن جهة ثانية لصعوبة التدخل لمعالجته نتيجة لعوامل عديدة ومتداخلة (ديموغرافية، تقنية، قانونية، اجتماعية، مالية).

1- الفقر والتهميش أهم مميزات البنية السوسيو اقتصادية للسكان

عرفت المدينة القديمة ومنذ الاستقلال تحولات عميقة وواضحة على مستوى البنية الاقتصادية للسكان، فبعد أن كانت تمثل مجالا تستغله مجموعة من الأسر الفاسية من الطبقة الغنية، والتي في غالبيتها كانت تمثل النخبة الفكرية والتجارية للمدينة القديمة ، التي كانت تحقق دخلا مهما ساهم في ازدهار النسيج الصناعي للمدينة القديمة وكذا تطوير اقتصادها، غير

أن هذه الأخيرة وبعد مرحلة الاستقلال عرفت مجموعة من التحولات على مستوى البنية الاقتصادية، خاصة بعد توافد المهاجرين القرويين عليها الشيء الذي أدى إلى الاختلال بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة بالماضي من خلال إفراغ المدينة من ساكنتها الأصلية وتعويضها بمهاجرين قرويين ذوي دخل محدود، فبعد أن كان مجالا تقطنه مجموعة من الأسر ذات وزن اقتصادي وتاريخي مهم يشهد عليه ما خلفوه من معمار وبناء، فإن أهم ظاهرة همت التطور الديموغرافي والبنية السكانية به، هي ارتفاع معدل النمو الديموغرافي ونسبة الكثافة و التساكن وتغير التركيبة الاجتماعية، وبذلك النسيج العتيق بمثابة مأوى لمجموعة من الأسر الفقيرة ذات الدخل المحدود مما أثر على البنية الاقتصادية والاجتماعية، من خلال ارتفاع معدل البطالة بين السكان الشيء الذي ترتب عنه انتشار الفقر خصوصا مع ارتفاع نسبة البطالة بين الشباب حاملي الشهادات(الصنهاجي، 2012،ص34-35).

2- تراجع الثقافة الحضرية بالمجال العتيق

إن ضعف وتراجع الثقافة الحضرية الأصيلة الناتجة عن الهجرة من المدينة الأصيلة من جهة وعن السياسة الاستعمارية اتجاه المدينة الأصيلة تنظيما وتشريعا من جهة أخرى تمثلت أساسا في:

عملية تحديث وعصرنة المراكز الحضرية بالعالم الإسلامي فترات وأنماطا متعددة اتسمت كل حقبة بنوع من التغيير ومحاولة التكييف مع المحافظة على الإرث التاريخي وإدماج ما يناسب متطلبات السكان وهيكلة التطور الاقتصادي والاجتماعي وخاصة العمراني.

عملية المزج بين الإرث التاريخي والفعاليات الخارجية لثقافات حضرية أخرى اتسمت بعدم التنسيق والتسلسل في كثير من المراكز التقليدية العتيقة، أصبحت ونتيجة لهذا التعارض تعيش طابع الجذب للبنيات الحديثة، وأفقدت هذه الإفرازات البعض من النوايا التقليدية طابع المركز السياسي، الإداري الديني والاقتصادي الذي كانت تتمتع به أصبحت تعيش حاليا أزمة التأقلم لشكل متناثر إذ استحوذت هذه الظاهرة على النوايا التقليدية، بحكم إغفال عامل الاندماج الطوعي أو القسري – لعدة عناصر اجتماعية أساسا، ثم ثقافية دينية كمستوى ثاني...جاء نتيجة هجوم آليات التحضر من الخارج: والتي حملت معها تقاليد وثقافة جديدة: تعتبر أرقى من البنيات التقليدية (السبتي، 2002،ص119) كما تبين لنا أيضا أن الأغلبية الساحقة من ساكنة المدينة الأصيلة تملك صورة سلبية في الغالب عن العيش في المجال المديني التقليدي، وأن هذا المجال تخترقه العديد من النظرات المتناقضة، فرغم مشاعر التقدير والإجلال التي يضفيها السكان على هذا المجال وإرثه الثقافي، وهي المشاعر التي تتقوى كلما اتجهنا نحو المركز التاريخي للمدينة والمتمثل في الحرم الإدريسي وفي مسجد القرويين، فإننا بالمقابل لاحظنا وجود رغبة قوية لدى السكان للتحول للسكن في الأطراف والأسوار بقصد السكن، وذلك للاقتراب أكثر ما يمكن من الطرق السيارة ومن المدينة الجديدة ومن الحداثة ...وهي فئة السكان الحديثي العهد بالاستقرار في المدينة الأصيلة والمنحدرين من أصول غير مدينية، وهذه الفئة هي التي تشكل الأغلبية الساحقة من ساكنة المدينة الأصيلة، وأهم ما يميز هذه الفئة من السكان هو ضعف المستوى الاقتصادي والثقافي، والتكدس في الدور التقليدية المفتتة والتراث بالنسبة لهذه الفئة لا يعني شيئا إن لم يكن العيش والسكن في مدينة قديمة، أصبحت ملجأ سهل عليهم الإقامة بعد الهجرة. ولذلك فتواجدهم في قلب مدينة تاريخية عريقة لا يساهم في تكوين نظرة تقديرية لتراثها الحضري، ومما يدل على ذلك عدم اهتمام هذه الفئات بترميم مساكنها، ولا

الحفاظ على المعالم الأثرية التي تميز المنازل التقليدية الفاسية. كما أن التدخلات الإصلاحية تكون بغاية تقوية الوظيفة السكنية الاستعمالية، ولو أدى ذلك إلى تغيير التصاميم التقليدية لتلك المنازل وتفتيت وحدتها.

3- تأثير الدينامية الديموغرافية على المجالات المبنية

إن ارتفاع الكثافات بالنسيج التقليدي خلال العقود الأخيرة اثر على هياكله السكنية وسرع عمليات تدهورها، فالحصيلة الحالية تبقى مقلقة ومنذرة بالخطر حيث تعتبر 50% من البنايات متدهورة 10% مهددة بالانهيار(المخطط المحلي للإسكان 2001)، فهذه التحولات الاجتماعية والاقتصادية المتمثلة في تحديث بعض الحرف التقليدية إضافة إلى العامل الزمني وتأثيرات العوامل المناخية، كلها عوامل أثرت ولازالت تؤثر بشكل مباشر على المباني التقليدية المتقادمة، فظهرت الصدوع والتشققات على واجهاتها الداخلية والخارجية على السواء كما ساهمت أحيانا في سقوطها وانهيارها فمن مجموع 12212 منزل محصى بالمدينة العتيقة توجد حوالي 4150 دار في حالة سيئة (34%) وما يقارب 1000 خربة (8%) ويرتقب أن ترتفع الحصيلة أن لم تطل هذه المباني عمليات الترميم والإنقاذ اللازمة من طرف السلطات المسؤولة، وتسفر نتائج التوزيع المجالي للبنايات الآيلة للسقوط والأسر المهددة بها عن تردي أوضاع السكان وتدهور الحظيرة السكنية بالنسيج العتيق.

جدول رقم 2: توزيع البنايات المهددة بالانهيار بعمالات فاس 2001

عدد الأسر	عدد البنايات	العمالات	
1839	478	داخل الأسوار	عمالة فاس الجديد داردبيبغ
208	14	خارج الأسوار	
2896	578	داخل الأسوار	عمالة فاس المدينة
565	106	خارج الأسوار	
1624	378	عمالة زواغة مولاي يعقوب	
7132	1734	المجموع	

المصدر المخطط المحلي للإسكان 2001

4- انعكاسات الصناعة التقليدية على المجال المبني

تعد مدينة فاس أهم قطب للصناعة التقليدية على المستوى الوطني نظرا لتعدد الورشات وتنوع القطاعات الحرفية. واعتمادا على الإحصاء الذي قامت به غرفة الصناعة التقليدية بفاس سنة 1992 بلغ عدد الوحدات الحرفية بعمالات فاس الثلاث حوالي 10.000 وحدة تستحوذ عمالة فاس المدينة لوحدها على أكثر من 50% من مجموع الوحدات الحرفية وتتركز جلها بالمدينة الأصيلة، إن أهم ما يميز الصناعة التقليدية بفاس عموما والمدينة الأصلية خصوصا تلك التحولات السريعة التي شهدتها خلال العقدين الأخرين سواء على مستوى البنية القطاعية والتموقعات المجالية أو التقنيات المعتمدة وطبيعة المواد الأولية المستعملة حيث أن بعض الحرف (اليازدي، 2004،ص20) اندثرت بعض الحرف واستطاعت أخرى أن تتكيف مع

الظروف الجديدة، في حين ظهرت حرف جديدة واكتسحت مجال المدينة الأصيلة بشكل عشوائي وغير مقنن، هذه التحولات تمثلت كذلك في إقحام مواد أولية خطيرة واستعمال تقنيات متطورة لا تتناسب مع طبيعة المباني بالمدينة الأصيلة الشيء الذي جعل هذه الأخيرة عرضة لخطر التدهور والانهيار ، وتعريض المباني لخطر الانهيار بفعل الاهتزازات الصادرة عن قوة الآلات والمحركات، تدهور المجالات العمرانية بسبب كثافة اليد العاملة وتحركاتها اليومية داخل المباني والدور القديمة، تغيير شكل وطبيعة المباني في غياب دراسات تقنية مسبقة يعرضها للانهيار (ثم تسجيل حالات متعددة بأحياء متفرقة كحي الصفاح مثلا حيث انهارت به دار من طابقين سنة 2001)، وتقويض جمالية ونظافة المدينة الأصيلة وتعدد النقط السوداء بفعل ارتفاع نسبة النفايات الصلبة التي يلقى بها بطريقة عشوائية (حزوي، 2002، ص52-53).

خاتمة

عرف الإطار المبني مجموعة من التحولات بسبب جملة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية التي أثرت بشكل واضح على وضعية بنيته التحتية وصيرورتها. لقد تراكمت مجموعة من الاختلالات خلال العقودة الأخيرة، أدت الى أزمة حقيقية تعيشها اليوم جل أحياء المدينة القديمة، ترجمت على المستوى المجالي، بتسريع مسلسل التدهور وإتلاف النسيج العمراني، خصوصا فيما يتعلق بتدهور البنية التحتية والإطار المبني من جهة، وتردي وضعية شبكة الصرف الصحي (الواد الحار) وانتشار التلوث من جهة أخرى.

لقد أصبحت المدينة القديمة بفاس غير قادرة على مسايرة الوثيرة المتسارعة لمسلسل التدهور، خاصة مع ارتفاع أعداد الدور المصنفة ضمن الدرجة الأولى من الخطورة والمعرضة لخطر الانهيار في أي وقت، وبالضبط خلال الفصل المطير من كل سنة، ويمكن اختزال أهم العوامل المساهمة في هذه الأوضاع في:

- ارتفاع أعداد العائلات المقيمة في المسكن الواحد الذي كان مخصصا في السابق لعائلة واحدة.
- تعدد المساكن داخل المنزل الواحد نتيجة تقسيم الغرف، وعدم الاهتمام بعمليات الإصلاح بحكم تعدد الملكية وتنوع استعمالات المجال.
- عدم قدرة المرافق الخدماتية للمسكن على الاستجابة لحاجيات القاطنين به، نظرا لارتفاع أعدادهم من جهة وتدهورها (قنوات المياه وقنوات الصرف الصحي) من جهة أخرى.
- اختلال البنية الإنشائية للسكن بسبب إضافة مرافق أو أنشطة دخيلة على المبنى لهذا فان تحسين وضعية الإطار المبني للمدينة القديمة ككل، يستوجب القيام بالعديد من المبادرات والمجهودات التي تهدف للحد من تدهوره، وكذا إعادة النظر في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للساكنة التي يعد الاهتمام بها من الشروط الأساسية لرد الاعتبار لهذه المنطقة التاريخية التي كانت ولازالت تعاني من ظاهرة السكن المهدد بالانهيار، الذي يهدد استمراريتها وكذا مستقبل ساكنتها.
- تعرض جزء كبير من الإطار المبني لهذه المدينة لنوع من التدهور والإهمال، تعددت أسبابه وأشكاله. وبذلك أصبحت المدينة القديمة تواجه العديد من التحديات والعراقيل التي تهدد كيانها، فبعد أن كان المجال فيما مضى يشكل نظاما حيويا متماسكا، أصبح اليوم مهمشا ومكونا من أحياء ومباني آيلة للسقوط والتدهور.

وترجع أهم أسباب هذه الظاهرة إلى تفاعل مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية وكذا الاقتصادية، أدت إلى عدد من التغيرات التي لحقت المجال العمراني من حيث ارتفاع الكثافة وكذا استقبال مهاجرين قرويين، مما أثر على سير الحياة العامة داخل أسوار المدينة، وبالتالي إلى الاستغلال المكثف للبنايات السكنية، الأمر الذي أدى إلى الضغط القوي على هذه المساكن وعلى ما تتوفر عليه من تجهيزات، ساهمت بالتالي في تدهورها ليصبح العديد منها مصنفا ضمن الدور الآيلة للسقوط.

لائحة المصادروالمراجع

1- أحمد الطلحي (2002): تدهور المجال المبني بالمدينة المغربية العتيقة فاس نموذجا، الملتقى الوطني السادس للباحثين في جغرافية المدن حول موضوع: المدينة المغربية العتيقة إشكاليات الحاضر وتحديات المستقبل، جامعة القاضي العياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش.

2- ألفة حاج علي (2002): الدينامية الديموغرافية وانعكاساتها المجالية نموذج فاس العتيقة، الملتقى الوطني السادس للباحثين في جغرافية المدن حول موضوع: المدينة المغربية العتيقة إشكاليات الحاضر وتحديات المستقبل، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش.

3- السبتي بشرى(2002) التمدين والاغتراب الحضري بالمجال التقليدي، الملتقى الوطني السادس للباحثين في جغرافية المدن حول موضوع: المدينة المغربية العتيقة إشكاليات الحاضر وتحديات المستقبل، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش.

4- سيف الدين الخرشافي (2001)، المدينة العتيقة بين رد الاعتبار والتخطيط الحضري، مجلة البرج، عدد خاص.

5- شتو فضيلة (2014)، سياسة تدبير السكن المهدد بالانهيار بالنسيج العتيق لمدينة فاس، مجلة التراث الحضري والحداثة، العدد 13، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز- فاس.

6- صباح السرغيني (2014) التراث الحضري والمقاربة السياحية للإنقاذ ورد الاعتبار: واقع المدينة الأصيلة لفاس مجلة التراث الحضري والحداثة، العدد 13، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز- فاس.

7- غزلان الصنهاجي (2012-2013) الاستراتيجيات المتبعة لإنقاذ السكن المهدد بالانهيار بالمدينة القديمة لفاس نموذج حي عين أزلتن، بحث لنيل شهادة الماستر شعبة الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز – فاس.

8- محمد حزوي (2002): مخاطر تحديث بعض حرف الصناعة التقليدية على الوسط البيئي بالمدن الأصيلة نموذج مدينة فاس، الملتقى الوطني السادس للباحثين في جغرافية المدن حول موضوع: المدينة المغربية العتيقة إشكاليات الحاضر وتحديات المستقبل، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش.

Romanization of Arabic Bibliography

1. Al-Talhi, Ahmed. (2002). "Tadahhur al-majal al-mabni bi al-madina al-Maghribiya al-'atiqa: Fas namudhajan" [The Deterioration of the Built Environment in the Ancient Moroccan City: The Case of Fez]. The Sixth National Forum for Researchers in Urban Geography on the topic: The Ancient Moroccan City, Present Issues and Future Challenges, Cadi Ayyad University, Faculty of Arts and Humanities, Marrakesh.

2. Haj Ali, Olfa. (2002). "Al-dinamiya al-dimughrafiya wa in'ikasatuha al-majaliya: Namudhaj Fas al-'atiqa" [Demographic Dynamics and their Spatial Repercussions: The Case of the Ancient City of Fez]. The Sixth National Forum for Researchers in Urban Geography on the topic: The Ancient Moroccan City, Present Issues and Future Challenges, Cadi Ayyad University, Faculty of Arts and Humanities, Marrakesh.

3. Al-Sabti, Bouchra. (2002). "Al-tamdīn wa al-ightirab al-hadari bi al-majal al-taqlidi" [Urbanization and Urban Alienation in the Traditional Space]. The Sixth National Forum for Researchers in Urban Geography on the topic: The Ancient Moroccan City, Present Issues and Future Challenges, Cadi Ayyad University, Faculty of Arts and Humanities, Marrakesh.

4. Al-Kharashafi, Saifeddine. (2001). "Al-madina al-'atiqa bayna rad al-i'tibar wa al-takhtit al-hadari" [The Ancient City between Rehabilitation and Urban Planning]. Al-Burj Journal, Special Issue.

5. Chtou, Fadila. (2014). "Siyasat tadbir al-sakan al-mahdud bi al-inhiyar bi al-nasij al-'atiq li-madinat Fas" [The Management Policy of Housing Threatened by Collapse in the Old Fabric of the City of Fez]. Journal of Urban Heritage and Modernity, Issue 13, Faculty of Arts and Humanities, Dhar El Mahraz, Fez.

6. Al-Sirghini, Sabah. (2014). "Al-turath al-hadari wa al-muqaraba al-siyahiya li al-inqadh wa rad al-i'tibar: waqi' al-madina al-asila li-Fas" [Urban Heritage and the Touristic Approach for Rescue and Rehabilitation: The Reality of the Authentic City of Fez]. Journal of Urban Heritage and Modernity, Issue 13, Faculty of Arts and Humanities, Dhar El Mahraz, Fez.

7. Al-Sanhaji, Ghazlan. (2012-2013). "Al-istratijiyat al-muttaba'a li-inqadh al-sakan al-mahdud bi al-inhiyar bi al-madina al-qadima li-Fas: Namudhaj hay 'Ain Azliten" [The Followed Strategies for Rescuing Housing Threatened by Collapse in the Old City of Fez: The Case of the Ain Azlaten Neighborhood]. Master's Thesis in Geography, Faculty of Arts and Humanities, Dhar El Mahraz, Fez.

8. Hzoui, Mohamed. (2002). "Mukhatir tahdith ba'd hiraf al-sina'ah al-taqlidiyya 'ala al-wasat al-bi'i bi al-mudun al-asila: Namudhaj madinat Fas" [The Risks of Modernizing Some Traditional Crafts on the Environmental Medium in Authentic Cities: The Case of the City of Fez]. The Sixth National Forum for Researchers in Urban Geography on the topic: The Ancient Moroccan City, Present Issues and Future Challenges, Cadi Ayyad University, Faculty of Arts and Humanities, Marrakesh.